الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض • والثاني
وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند
خوف استعمال الما البارد وقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر
او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا
فاباح للمريض العدول عن الما الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يوذيه
وهو تنبيه على الحمية عن كل موذ له من داخل او خارج • والثالث من قوله تعالى
او به اذى من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه
المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر لانه
اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس
عليه كل استفراغ يوذي احتباسه فقد ارشد الله تعالى عباده الى اصول الطب
الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث عطا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله دا الا انزل له شفا فتداووا وعند
احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الدوا فتداووا وعند البخاري في
الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم
عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع دا الا وضع
له شفا الا دا واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة مخففة الموت
يعني الا دا الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثنا الهرم في الرواية
الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او القربة من الموت
وافضايه اليه • ويحتمل ان يكون الاستثنا منقطعا والتقدير لكن الهرم لا
دوا له • ولابي داود عن ابي الدردا رفعه ان الله جعل لكل دا دوا فتداووا
ولا تتداووا بحرام • وفي البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاكم فيما حرم عليكم فلا
يجوز التداوي بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل دا دوا فاذا اصيب
دوا الدا برا باذن الله تعالى فالشفا متوقف على اصابة الدوا الدا باذن الله
تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع
بل ربما احدث دا اخر وفي رواية عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت
ما من دا الا وله دوا فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله
بين الدا والدوا فكلما شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه
امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله به وفي حديث
ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل دا الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله

من

من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها
كل احد واما قوله لكل دا دوا فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادوا
القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله تعالى قد جعل لها ادوية
تبريها لكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلا • لانه لا علم للخلق الا ما علمهم
الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة الدوا للدا • وقد يقع لبعض
المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبري ثم يعتريه بعد ذلك الدا بعينه فلا ينجع
والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدوا وقرب مرضين تشابها ويكون
احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هناك وقد يكون
متحدا لكن يريد الله تعالى ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه
من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه
دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب • وكذلك تجنب المهلكات والدعا بطلب
الشفا ودفع المضار وغير ذلك • وقد سيل الحارث بن عبد الله بن اسد المحاسبي
في كتاب القصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من
وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل سابق
محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم
من استرقى واكتوى بري من التوكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث اخر
فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من
المتوكلين فيباح لهم الدوا والاسترقا • فجعل المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض
وقال في التمهيد والمراد بقوله بري من التوكل اذا استرقا الرقا المكروهة في الشريعة
او اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفا بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقا
المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى
وان الشفا من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة وكان ناظرا الى رب
الدوا وتوقع الشفا من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذ اصحه الله تعالى
وانعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدوا
شيا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ اعمل بذلك في نفسه وغيره انتهى • وقد
تبين ان التداوي لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح
في التوكل نفسه كما يقدح في الامر والحكمة • وحكى ابن القيم انه ورد في خبر
اسرائيلي ان الخليل عليه الصلاة والسلام قال يا رب ممن الدا قال مني قال فممن

Copyright © King Saud University